التحركات الدوليّة والتحركات الرجعيّة

والسّير في الإتجاه المعاكس للنّصر

تتجدد حاليا التحركات الدولية من أجل وضع صيغ جديدة لفرض الاستسلام على الامة العربية وتصفية القضية الفلسطينية . وتسير هذه التحركات على اكثر من مستوى وفي اكثر من خط .

فهناك مثلا الحديث عن عودة ياريفغ لاستئناف مهمته الخاصة بتنفيذ الحل السلمي ، وهناك اللقاء الفرنسي - الاميركي . ومشاورات الدول الكبرى مجتمعة ، يتلاقى معها على الصعيد العربي تحرك رجعي عبر عنه وزير خارجية المغرب في تصريحاته اثناء مروره في بيروت في الاسبوع الماضي ، وتجديد لقاءات الدول الاسلامية المرتبط معظمها بالدوائر الاستعمارية .

وما كانت هذه التحركات لتؤثر على النضال العربي لولا الركود الرهيب على الجبهات العربية ، سواء على خطوط القتال او على صعيد الحركة الشعبية .

فالنشاط الاكبر على الصعيد الداخلي هو النشاط الذي تقوم به الرجعية العربية لضرب العمل الفدائي وتصفية الحركات الوطنية والتقدمية في سلسلة متناسقة من أعمال القمع تمتد من الاردن والسعودية الى المغرب وتونس . ناهيك عن المؤامرات التي تحاك ضد عروبة الخليج والغزو الايراني الواسع النطاق في تلك المنطقة .

ان الذي يتابع ما يجري في الدول العربية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وما يجري في اسرائيل من تخطيط على هذا الاساس ، يتراءى له ان الامة العربية تسير في الاتجاه المعاكس للنصر .

وليست محاولات ضرب وتقييد العمل الفدائي المظهر الوحيد لهذا الاتجاه ، بل هناك مظاهر لا تقل خطرا تتمثل في الاستسلام للواقع المرير الذي ولدت فيه الهزيمة .

وعندما نرى ان اسرائيل تفرض على سكانها التقشف من أجل الحرب وتصل الضرائب التي تضعها على السيارات المستوردة مثلا الى اربعماية بالمئة ، نجد ان بعض الدول العربية ، ومنها دول في خط المواجهة ، ترفع قيود الاستيراد وتسمح للرساميل الاجنبية بالدخول والاستثمار ، وتقيم بحبوحة مصطنعة مخالفة لكل قاعدة متبعة في زمن الحرب .

اي منطق هو الذي يقلب المقاييس بهذا الشكل ، غير منطق الاستسلام .. واي قاعدة تضع التنفيس والاسترخاء في مقام التعبئة والحشد غير قاعدة التخلي والانهزام ؟!

ان اي مواطن عربي يدرك اليوم ان هزيمة حزيران التي مضى عليها ثلاث سنوات لم تولد من العدم . فقبل الهزيمة كانت ظروف الهزيمة . وما هي ظروف الاستسلام تطل قبل الاستسلام بحيث لم تعد مستغربة تلك التحركات الدولية والرجعية المشبوهة ، لانه من الطبيعي ان تهب في الوقت المناسب .

والعدو الصهيوني بوفرة ما لديه من وسائل وعملاء ، يرقب ما يجري في الوطن العربي بالظواهر والمعالم وبالدقائق والتفاصيل لكي يضمن لنفسه البقاء ولعدوانه الاستمرار والدوام .

يقول ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ما معناه ان حكومته مطمئنة لان عاصفة التغيير لم تهب على العالم العربي من خلال التعليم . وليس يقصد ابا ايبان بالتعليم المناهج المدرسية ، على أهميتها ، بل يشير الى الثورة الثقافية العارمة التي كان من المفروض ان تنطلق بعد الهزيمة لتدك معالم المجتمع العربي القديم لتخلق المجتمع العربي المقاتل المتجدد . مجتمع الحرب والمقاومة والتقدم .

وهذا بالفعل ما تخشاه اسرائيل اذا حدث ، وتطمئن اذا غفا ليمتص هذه الهزيمة كما امتص غيرها في غياب المحركات التاريخية للنهوض والنصر .

ان حركة التغيير هذه التى يسعى العدو الصهيوني بكل ما لديه من وسائل وعملاء الى وأدها ، ليست حركة في الشكل وفي الاشخاص وفي القوانين ،بل هي حركة نضالية تحول الجماهير العربية من كمية عددية الى طاقة نوعية تاريخية ذات افق شامل وذات عقل متعدد الجوانب .

ذلك لان تحول الجماهير الى طاقة تاريخية من هذا النوع ، لن يكون توجها الى تحرير فلسطين وحدها ، بل الى تحرير الوطن العربي كله . لان الشعب عندما يدخل ساحة النضال لن يكتفي بالقضاء على عدو واحد كما قال الاستاذ ميشيل عفلق في حديث له في النادي الثقافي العربي ببيروت في شهر شباط عام ١٩٥٦ .

وهنا يدخل الترابط بين النضال ضد الصهيونية التي تحتل فلسطين واجزاء من سوريا ومصر ، وبين النضال ضد الاستعمار والمصالح الامبريالية التي تحتل بقية اجزاء الامة العربية .

لذلك فان التآمر على الثورة الثقافية القومية يتجسد بالدرجة الاولى في التآمر على وعي الجماهير، لان هذا الوعي هو شرارة التغيير وامكانية الثورة .

فالمناخ الذي ولدت فيه الهزيمة هو المناخ الذي يولد فيه الاستسلام اذا ظل الشعب بجماهيره الكادحة بعيدا متفرجا .

والمناخ الذي يولد فيه النصر وتتاجج الثورة ليس بالشيء الذي يولد فيه الاستسلام اذا ظل الشعب بجماهيره الكادحة بعيدا متفرجا .

والمناخ الذي يولد فيه النصر وتتاجج الثورة ليس بالشيء الذي يتطلب المعجزات لخلقه ، بل هو يتحقق ببساطة باطلاق حرية الجماهير وتنظيمها ورفع مستوى وعيها . وهو الشيء الذي تنقسم عليه الانظمة العربية بين عاجز عن السير فيه وبين خائف منه متآمر عليه .

وبغير هذا المناخ ، وبدون الطلائع الثورية القادرة وحدها على قيادة التحرك الجماهيري ، ستظل الظروف التي ولدت فيها الهزيمة تتحول الى ظروف ولادة الاستسلام ، لان الجماهير ستظل كما كانت متأرجحة بين ركود سياسي سلبي او حماس سطحي سرعان ما تخبو جذوته وسط المؤامرات الكثيرة لامتصاصه وتنفيسه وتخميده .

وفي مثل هذه الاوضاع التي تعيشها الامة العربية اليوم ، ليس غريبا ولا مستغربا أن تحاك مؤامرات التصفية والاستسلام وان تتكالب الدول والمصالح الاستعمارية على نهشها وتفتيتها وخنق ارادة المقاومة فيها .

« الاحرار »